



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN - WAHAF
Date : 27 94
Photo No. : 315

٢ تموز ١٩٩٤ : يوم الاستقلال الفلسطيني

هل يمدد الحكم الذاتي فعلا لبناء الدولة المستقلة؟ منذ شهر ولجدد نائر، وهذا طبيعي، فالجواب لم يكن محسوماً على الورق. هذا كان قبل امس، لان العودة - الحدث تخطت الورق وتفتت السجلات حول هذا البند او ذلك. فامس شهدنا عيد الاستقلال الفلسطيني. امس كانت غزة كلها صورة للاستقلال. امس ياسر عرفات كان رئيس استقلال، في هذا الخطاب الذي لم يمنع شبه ارتجاله ان يكون على مستوى الحدث، اذ أكد في آن واحد هدف الدولة المستقلة وخيار الكونفيدريالية مع الارن، خصوصية الشعب الفلسطيني في سعيه نحو دولة مساواة وانتمائه العربي، المطالبة الفلسطينية بالقدس والتوجه الى الشعب الاسرائيلي، التشديد على الوحدة الوطنية والانتباه الى صوت "حماس" وشيخها المعتدل.

لكن احداً على الارجح لم يسمع الخطاب، خلا الدوائر الاسرائيلية المكلفة رصد كلام عرفات. وفي اي حال، لم يكن معما ان يسمع هذا الخطاب على رغم احتوائه الرسائل المطلوبة. فقبل كل شيء كان اللقاء بين قائد مخضرم ارتفع من قعر الهزائم العربية وشعب عزم على ان يلاقه باستقبال الفاتحين. من قال ان الفتح لا يكون الا بالسلاح؟ هكذا اخيرا انصف التاريخ، انصفت فلسطين هذا الرجل الذي لم يكن من السهل يوماً الدفاع عنه، لكثرة ما لثارت شخصيته المواربة وتثير من ردود فعل شبه غريزية. على العكس، صارت الامور اصعب فاصعب، في الاوتة الاخيرة، بعد سقوط رموز الرعيال الاول الذي ترك "ابوعمر" فريداً متفردا.

ومع هذا الانصاف، الذي كتب لعرفات ان يعيش ليلقاه من مئات الآلاف من الفلسطينيين، صار لزاماً اللقاء ضوء آخر على شخصيته للاقرار بأنه كان، على رغم علات عدة، قائداً فذا نذر نفسه لشعبه فبات آخر رجال التحرير الكبار على غرار نيلسون مانديلا ونهرو وبين بلة وبورقيبة وعبدالناصر. واذ يوشك عرفات ان يكمل رحلة الالف ميل، كما يجب ان يصف مسيرة الحركة الوطنية الفلسطينية، تعود هذه الحركة وتظهر كما كان يفترض ان تظل دواما، اي واحدة من كبرى حركات التحرير في هذا القرن.

امس، خطت المقاومة الفلسطينية احدى خطواتها الاخيرة قبل ان تكتمل دورة حياتها.

امس بدأت تنتهي ثورة فلسطين لتبني دولة فلسطين. امس انتهى شيء ما في الصراع العربي - الاسرائيلي وانتهى شيء ما في حياة اجيال من العرب. لكن الحياة لم تنته ولا انتهى الصراع.

سمير قصير

امس طوى ياسر عرفات صفحة من حياتنا وهو يطوي فصولا من تاريخ الصراع العربي - الاسرائيلي.

امس خطا بنا ياسر عرفات الى مستقبل يبقى علينا ان نكتبه فيما كان يخطو خطوته الاولى على ارض فلسطين. تلك هي خصائص اللحظات التاريخية، ما ان تحدث حتى تتبدل صورة الواقع، فلا يعود اي شيء كما كان.

في هذه اللحظة التاريخية، كان من الصعب مقاومة مشاعر الفرح العارمة التي كانت ترشح من شاشات التلفزيون. فرح، ولم لا؟ فرح عميق يعمق الالام التي سبقته وربما رافقته. فرح اصيل لصاله التضحيات التي مهدت له وما زالت تحميه. فرحة شعب بنفسه عندما يكتشف انه نجا من التاريخ.

في هذه اللحظة التاريخية، كان من الصعب مقاومة تداعيات الناكرة، الفردية كما الجماعية. ذاكرة قرن مليء بالامال المحطمة، مغمم بمرارة الاحلام المتهافة. لكن الذاكرة لم تكن امس لتحول دون الفرح. فعلى رغم كل الضوابط والنواقص التي تحكم تجربة الحكم الذاتي الوليدة، ثمة امر يفرض نفسه دون سواه، فلسطين بقيت. لم تنب. بدأت تعود. بل عادت في النفوس.

فايا تكن حدود الارض المستعادة، فلانما كبيرة ما فيه الكفاية لتعيد الشعب الفلسطيني الى نورة التاريخ العانية، فلا يعود الشعب المشطوب.

لعقود طويلة، حجبت حرارة الايمان العربي بالحق الفلسطيني وببنتية انتصاره فداحة الخطر الكبير الذي ظل يهدد هذا الشعب، الزوال، ليس الا فالتاريخ، في التمهية، مليء باسماء الشعوب المنقرضة التي سقطت امام عدوان خارجي. ولذلك تحديداً، لم تكن رحلة العودة من الانتدثار سهلة. بين ٢ تشرين الثاني ١٩١٧، يوم وعد بلفور، و٢ تموز ١٩٩٤، يوم وعد عرفات، كان على الشعب الفلسطيني ان يسبح عكس التيار. ففرق الكثير من اينائه لكنه ظل يعاكس الاحداث حتى وصل الى هذا اليوم الذي تلوح فيه ملامح شاطئ الامان.

طبعاً، لم تصل رحلة العودة الى ميناء يافا، كما تقول الاغنية، ولا الى حيفا. فهذا هو الثمن الذي دفعته فلسطين للعالم، اي للغرب، حتى تعود. وعليه، فان تقويم الحدث، انا كان لا بد ان يستند الى مرجعية ما، لا يكون بقياس التجربة الوليدة مع حلم استعادة فلسطين من النهر الى البحر، وقد بدنته هزيمة ١٩٦٧ ثم "التصلر" ١٩٧٣، انما مع هدف الدولة المستقلة على جزء من فلسطين، هذا الهدف الذي هو، للتذكير، موضع الاجماع الوطني الفلسطيني وموضع الاجماع الرسمي العربي.